زاد المجاهد

الجهاد مفهومه وغاياته وفوائده

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يحتاج المجاهد كغيره من المؤمنين للتذكرة، باعتباره مؤمنا ينتفع بها، وهو بحاجة إلى التبصير، فالبصيرة جزء أصيل من وعي المجاهد الملتزم، وبدونها يتحول إلى مشروع فتنة عمياء، والجهاد مدرسة عملية أصيلة، وما أحرى المجاهد أن يتتلمذ في رحابها فيدرك المشروع الجهادي الذي ينطلق فيه، وغاياته، والمقومات الروحية والفكرية للمجاهد، والعلاقات الشرعية المفترضة في المجتمع الجهادي، وبعضا من المسائل الفقهية والأذكار والأوراد التي يحتاجها المجاهد، وتعينه على أداء مهمته الجهادية على أكمل الوجوه.

يدرك المجاهد وقد فضّله الله على من سواه من المنطلقين في ميدان العمل الصالح أن محياه ومماته لله، وأنه باع بيعا صحيحا نافذا من الله، وما أحراه وهو كذلك أن يتحرك على مقتضى الشرع، ومنهاج القرآن في

جميع تفاصيله الجهادية، وبأصح الوجوه، وأفضل المسالك.

وهذه سلسلة كتيبات جيبية، بعنوان (**زاد المجاهد**) يعالج كل كتيب منها موضوعا ربما انتفع بما فيه المجاهدون، وتذكر به المتذكرون، وهذا أولها، والله المستعان ومن عنده النصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ما هو الجهاد

هو استفراغ الوسع والجهد في سبيل الله، وأي جهد يكون في سبيل الله فهو جهاد، سواء كان بالقول أو بالفعل أو بالمال، وسمى الله سبحانه وتعالى الاحتجاج بالقرآن جهادا، قال تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً**﴾ [الفرقان:٥٢] والضمير في (به) يعود إلى القرآن الكريم، والقرآن الكريم يبين أيضا أن الجهاد يكون بالمال والنفس، ﴿**وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ**

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وبيّن القرآن الكريم الجهاد بالنفس عملياً بالقتال، ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة ١٩٠]، ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٤]، ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٧٤].

وسبيل الله هو إنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، وإرساء دعائم العدل والاستقرار، وتأمين الناس في معاشهم، وحفظ أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، والعمل

لكل ما يسعد الإنسان في حياته، وإخراجه من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد[1].

ويتطلب تحقيق هذا السبيل والسلوك فيه، أن يبذل الإنسان جهودا متنوعة ومختلفة، والحكمة تقتضي أن لا يستخدم المجاهد الأسلوب العنيف مع جدوائية الأسلوب اللطيف، وأن لا يستخدم الأسلوب الأعنف مع نجاح الأسلوب الأقل عنفا، وآخر هذه الأساليب هو القتال في سبيل الله، قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام: (وحقيقة الجهاد بذل المال والمهجة، وأن لا يولي دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة)[2].

إذاً فالمجاهد هو من يبذل وسعه وجهده في سبيل الله، ومن ذلك النكاية بأعداء الله، ويجب على من استفرغ جهده في مواجهة أعداء الله أن يستشعر النية المخلصة بأن

---

(١) مفهوم الجهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، دائرة التوعية بالملتقى الإسلامي.

(٢) مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم.

يكون عمله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، حتى ينضوي تحت لواء المجاهدين، الذين يستحقون المقامات العليا عند الله رب العالمين.

وأعداء الله الذين يجب قتالهم هم كل من حادّ الله وصد عن سبيله، كفارا محاربين، أو بغاة معتدين، ولكل من هاتين الفئتين أحكام ومعاملات عسكرية يختصون بها.

وهناك من الأعداء الذين يجب جهادهم النفس الأمارة بالسوء وشهوات الدنيا والهوى، ولهذا سمي هذا النوع من الجهاد (جهاد النفس)، وهي ليست موضوعنا الذي نريد الحديث عنه.

فضله

لما ثار الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن عليه السلام سنة (١٤٥هـ) ضد الظالمين في عصره، سأل أحدُ العلماء الإمامَ أبا حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ) قائلاً: أيهما أحب

إليك بعد حجة الإسلام، الخروج إلى هذا الرجل، أو الحج؟ فقال: غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة[١].

يختص الجهاد بأنه بيع من الله، فالمجاهد هو من يتميز بإبرام صفقة إلهية عظيمة مع الله العظيم بديع السماوات والأرض ومالكهما، إنه من سيتشرَّف بأن الله يشتري منه نفسه وماله، إنه من أمره الله بأن يستبشر بهذا البيع الرابح المربح، إنه من يفوز بالفوز العظيم، وما أعظم المجاهد الذي رأسُ ماله نفسُه ومالُه وهو يدخل في عملية تعاقدية مع رب السماوات والأرض العالم بكل شيء والقادر على كل شيء، نفسه وماله اللذان هما في الأصل ملكٌ لله، فيبيع المجاهد رأس المال هذا من مالكه، فيكون الفوز العظيم والربح الجسيم، ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي**

---

(١) أمالي الإمام أبي طالب.

سَبِيلِ اللَّـهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّـهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

إن الله حين عبر عن الجهاد بالنفس بالبيع والشراء إنما صوّر المسألة بما تستحقه من الاهتمام والعناية حيث مردوداتها الربحية كبيرة ونفيسة وقيِّمة، وينبغي التحرك من أجلها، ومن المعروف أن البيع والشراء (التجارة) هي عملية رضائية تتطلب من كلا طرفيها الرضاءَ والإرادة الحرة، وما أجمل المجاهد وهو ينطلق في بيعه الرابح وتجارته المنجية بإرادته الحرة ويقينه الكبير بما عند الله، والربح فيها نوعان: النجاة من سخط الله، والنار، والحصول على مميزات رضوان الله في الجنة، وهل هناك تعبير عن هذه المكرمة العظمى يصور الجهاد في سبيل الله مثل كتابه العزيز، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الصف ١٠-١٣].

روي عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ: «أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله وجهاد في سبيله»[١]، وبأفضلية الإيمان بالله نستدل على أفضلية قرينه الجهاد في سبيله، وروى الإمام زيد بن علي عن آبائه عن الإمام علي عليه السلام، قال: (غزوة أفضل من خمسين حجة، ورباط يوم في سبيل الله أفضل من صوم شهر وقيامه)[٢]، وهذا في الأوقات الطبيعية للجهاد، أما حين يكون الجهاد دفاعا عن الدين أو عن العرض أو عن المال فإنه يكون من أوجب الواجبات.

يقول الإمام علي عليه السلام: (إن الجهاد باب من أبواب

---

(١) أمالي الإمام أبي طالب.

(٢) مجموع الإمام زيد.

الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه)[١]، ولعمري إن عملاً خصه الله بخاصة أوليائه وليس بأوليائه فقط لهو عمل كريم، وسعي حميد، يعلق الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام على الآية السابقة قائلاً: "صدق الله إن ذلك للتجارة الكبرى، والكرامة الجليلة العظمى، والحظ العظيم، والأمر الجسيم، ... فإن ذلك من أفضل ما أُعطِيَ الخلق من العطاء، وأعظم ما بلغه بالغٌ من الرجاء"[٢].

وجوب الجهاد

يقول الله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢١٦]، ويروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) مجموع رسائل الإمام الهادي، كتاب معاني السنة.

النفاق»[1]، يبين الله في هذه الآية وجوب الجهاد، وأنه فريضة فرضه الله على عباده، وكلفهم به، ومعنى أن الجهاد واجب هو أن الأمر لا يعود فيه إلى اختيار العبد متى شاء جاهد، ومتى شاء ترك الجهاد، بل هو كسائر الواجبات كالصلاة والصيام مثلا، فإذا تركه الإنسان استحق العذاب وباء بالخسران في الدنيا والآخرة، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر بالجهاد وتحث عليه كثيرة، والجهاد نوعان: منه الهجوم على الأعداء إلى ديارهم، وهذا فرض كفاية، إذا قام به البعض، سقط عن من سواهم، والنوع الثاني: هو الدفاع عن البلد، من الأعداء الكفار أو من البغاة الظالمين، وهذا فرض عين يجب على كل مسلم إذا كان لا بد من الجميع، كما نص على ذلك فقهاء الإسلام.

لقد حاول أعداء الإسلام اليوم تشويه مفهوم الجهاد،

---

(١) الإمام الموفق بالله:الاعتبار وسلوة العارفين، وسنن أبو داود،والنسائي، والحاكم في المستدرك،وأحمد بن حنبل في المسند.

مستغلين انحراف بعض المدعين للجهاد من الحركات التكفيرية التي باركوا نشأتها وأعمالها هم، وباتوا يطلقون عليهم (الجهاديين)، وحاولوا توظيف بعض المشاهد المنفرة للتشويه بالجهاد، حتى يطفئوا أثره في واقع المسلمين، ويجبروهم على الانكفاء والتنازل عنه، وما ذلك إلا لأنه مفهوم وعقيدة تشكل خطرا على دول الاستكبار والغطرسة في هذا العالم اليوم، ونحن أمة القرآن الذين يجب أن نحيي ما أحياه القرآن ونميت ما أماته القرآن، ومن ذلك الجهاد.

يقول الله تعالى: ﴿**انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة:٤١]، وهو أمر يوجب الجهاد في أي حالة من الحالات التي تقتضيه، ويحذِّر في آية أخرى من مغبة ترك النفير إلى الجهاد بالعذاب الأليم والاستبدال بقوم آخرين، ﴿**إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة:٣٩]، ومصداق هذا واضح في التاريخ فحين

تخاذل المسلمون في النفير مع أئمة الهدى، ابتلاهم الله بأئمة الجور والضلالة والردى.

قال الإمام الهادي يحيى بن الحسين: "وهو عز وجل قد فرض الجهاد على جميع الناس، فقال: ﴿**انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ**﴾ ثم قال لمن أعمى الله بصره، ولم يعطه من القوة ما أعطى غيره: ﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ**﴾ [الفتح:١٧]، فعذره عن التخلف عن الجهاد؛ إذ لم يقدره على ذلك"(١).

ويكفي أن أئمة أهل البيت طوال تاريخ الإسلام كانوا حملة لوائه، ولا زال دأبهم وديدنهم، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام قضى عمره جهادا مع رسول الله ثم جاهد في أيام إمامته الناكثين والقاسطين والمارقين، ولما أتته الشهادة أعلن فوزه قائلاً: (فزت ورب الكعبة)، وهو الذي يقول: ﴿**إِنّ أَفْضَلَ مَا تَوَسّلَ بِهِ الْمُتَوَسّلُونَ إِلَى اللّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنّهُ ذِرْوَةُ**

---

(١) مجموع رسائل الإمام الهادي، كتاب معرفة الله.

﴿الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ﴾[١]، ومضى على طريقته ابناه الحسن والحسين عليهما السلام، ولما رأى الإمام الحسين شدة انحراف بني أمية وتحريفهم للإسلام لم يستجز القعود، وقال قولته المشهورة: (وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)، فقضى شهيدا كريما، ثم مضى على أثره حفيده الإمام زيد بن علي عليه السلام، الذي مكث مع القرآن عشرة أعوام حتى سمي بـ(حليف القرآن)، وكان يسمع الآية من كتاب الله فيخر مغشيا عليه، وصار أعلم أهل بيته، ومع ذلك فإنه حين خفقت رايات الجهاد، رفع يده إلى السماء، وقال: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ولم آمر في أمته بالمعروف، ولم أنههم عن المنكر)[٢]، وهذا الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي عليه السلام يقطع آلاف الكيلوهات لكي يجاهد في سبيل الله بالكلمة والسيف، ولما أدخل أهل الجيل في الإسلام

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) مجموع رسائل الإمام زيد.

تحرّك بهم للجهاد وإقامة المجتمع الفاضل.

وقال الإمام الهادي يحيى بن الحسين، بعد أن روى حديث: «يوم الجمعة يوم القيامة ويوم تقوم فيه الساعة»، قال: «ما زلتُ منذ رويتُ هذا يَدْخُلُني في كل جمعة وجلٌ وخوفٌ، وما ذلك من سوء ظني بربي، ولا قلة معرفة مني برحمة خالقي، ولكن مخافة من لقائه، ولم أقم بما أمرني بالقيام به، يعني الجهاد»[١]. وما أحسن قول الإمام زيد بن علي عليه السلام حين قال: (أجمعت الأمة على أن خيرة الله المتقون، وأن خيرة الله سبحانه وتعالى من المتقين المجاهدون في سبيل الله، وأن خيرة الله من المجاهدين السابقون إلى الجهاد، وأن خيرة الله من السابقين أكثرهم عملا في الجهاد)[٢].

---

(١) درر الأحاديث النبوية.

(٢) الإمام زيد، مجموع رسائل الإمام زيد.

غايات الجهاد وأهدافه

شرع الله الجهاد في الإسلام لصلاح الدين والدنيا فيه، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام مخاطبا الأمة جميعا، عند خروجه إلى البصرة، فقال: "وإن الله فرض الجهاد وعظّمه، فجعله نصرته وناصره، وأيم الله ما صلحت الدنيا والدين إلا به"، ويظهر أن الجهاد هو الوسيلة لتحقيق البيئة والأرضية المناسبة التي تتوفر فيها حرية الإنسان وتتحقق فطرته التي فطره الله عليها ويتخلّص من عبودية العباد والتوجه إلى عبادة رب العباد، والتوحيد لله تعالى.

ويتخذ الجهاد صورا مختلفة، ولكنها كلها تحمل الطابع الدفاعي الإيجابي، حتى وهو في شكل الهجوم فإنه لا يريد من وراء ذلك الاستعباد للإنسان ولا انتهاك إنسانيته، ولا التسلط عليه، بل يريد تخليصه من كل القيود والأعباء والظروف التي ترهقه وتمنعه عن الاستجابة لنداء الفطرة الإنسانية، يوفر الجهاد البيئة التي

يكون الإنسان عندها متوجها إلى الله مباشرة ليتلقى منه أوامره وتعاليمه الربانية بدون مانع ولا معيق، ويمكن تلخيص غايات الجهاد وأهدافه في **النقاط التالية:**

الأولى: [حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله] [تكوين الأمة المؤمنة والمجتمع المؤمن].

إن الله سبحانه جعل الجهاد ضمن سنة التدافع الاجتماعية التي تحقق التوازن في المجتمع وتتيح حرية الفكر والعقيدة ضمن الأديان السماوية، وحين يحدث تسلط وقهر من بعض الأنظمة المستكبرة والمتغطرسة بحيث تكون عائقا أمام المسلمين وحريتهم في العقيدة والنشاط العبادي، وحين تقمع فطرة الله التي فطر الناس عليها، وتمنع من التحاكم إلى منهج الله، وتريد من الناس التوجه إلى منهج الطاغوت والشيطان، وتظلمهم من أجل ذلك وتقمعهم، فإن الله ندب عباده المؤمنين إلى الجهاد لإعلاء كلمة الله التي تنسجم مع فطرة الإنسان التي تدعوه لتوحيد الله، وإلى إزالة تلك الأنظمة المستكبرة والمتعالية على منهج الله، لأنها تصد عن دين

الله وتحدث الفتنة والظلم والفساد بحق عبيد الله المستضعفين، وتستخدم تخلية الله لها في ما يضاده بشكل لا يمكن القبول به.

يقول الله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً، وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً، الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء ٧٤-٧٦]، ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ [النساء:٨٤]، ويقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ

أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ، فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩٣]، ويقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال:٣٩].

إن هذه الآيات تحض المسلم الملتزم الذي باع نفسه من الله أن يقاتل في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين من الرجال والنساء، الذين غُلِب على أمرهم وظُلِموا بسبب إيمانهم بالله، ومُنِعوا من ممارسة شعائرهم الدينية، لقد ندب الله إلى الجهاد حتى تتحقق حرية هؤلاء في اختيار العقيدة والنظام اللذين يريدهما الله لعباده، وبما يتوافق مع الفطرة الإلهية، إن هذه الحالة من الجهاد يراد منها كفُّ بأسِ الذين كفروا، وإزاحة تسلُّطهم الظالم الكافر على أفرادٍ مستضعفين، فيجاهد المجاهدون لخلق وتكوين مجتمع مؤمن ونظام ملتزم يكفل الحريات

الدينية، ويضمن العدالة الاجتماعية، ويحفظ للأديان السماوية جميعها حريتها، إنه يهدف إلى القضاء على الفتنة التي تمنع الناس من الإيمان، وحتى يصبح الدين كله لله، يجب أن تزول مظاهر الشرك بالله، حيث حياة الشرك تنفصل تماما عن الفطرة الإلهية، ولا يمكن التلاقي معها في وجه من الوجوه، ولا بد عندئذ من التوحيد، وبالتالي فعلى المسلمين أن يجاهدوا ويقاتلوا لتحقق المجتمع الذي تسوده العقيدة الإسلامية والنظام الإسلامي بإذهاب بأس الذين كفروا، وإقامة النظام الإسلامي الذي أراده الله.

يهدف هذا النوع من الجهاد إلى كف بأس الذين كفروا، وإزالة حكم الطاغوت وتأثيراته وتثبيت دين الله المتفق مع الفطرة الإنسانية، ويلاحظ أن هذه الآيات تشير إلى الأعداء وأنهم من نوع المقاتلين للمؤمنين والمستكبرين عليهم.

وفي هذا الصدد جاءت حركة الرسول الخاتم ﷺ وحركة المرسلين صلوات الله عليهم؛ ففي مجموع الإمام

زيد بن علي عليه السلام بسنده إلى الإمام علي عليه السلام قال كان رسول الله إذا بعث جيشا من المسلمين بعث عليهم أميراً ثم قال: (انطلقوا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، أنتم جند الله، تقاتلون من كفر بالله، أدعوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

الثانية: [أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير] [الدفاع عن الأمة المؤمنة أو المجتمع المؤمن].

وهناك حالة تتلاقى مع الحالة الأولى حينا وتفترق عنها حينا، فحيث تتلاقى هو حيثية الدفاع عن حق المستضعفين في التدين وإقامة المجتمع الذي يحقق لهم ولغيرهم من أهل الدين الحرية والنظام العادل المنسجم مع روح الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي حالة قد تكون مع الأنظمة المستكبرة ولو كانت ترفع شعار الإسلام، تتفق معها في كونهما من حالات التدافع التي

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي.

أذن الله باستخدامها، قد يكون نظام يمارس الظلم الاجتماعي على مجتمع ما، أو قد يكون متمظهرا بالدين الحق لكنه يضاده في طبيعته وحركته وأهدافه واتجاهاته، قد يكون هذا النظام منحرفا، وقد يغرق المجتمع بقيم وأفكار منحرفة، وهنا يبرز دور المجاهد، الذي يجب أن يتدرج في جهاده في هذه الحالة من الكلمة والموعظة الحسنة والتربية الإيمانية إلى ما وراءها من الأساليب والتي يكون آخرها القتال في سبيل الله، اليوم هناك أنظمة إسلامية وعربية تدين بالولاء لغير الله وتنفِّذ مخططات أمريكا والدول العدوانية في العالم، وتنفِّذ مخططاتهم التدميرية والإفسادية بحق الشعوب المسلمة.

الله يأذن لعباده والحالة هذه بأن يدافعوا عن أنفسهم ويناضلوا من أجل التخلص من نير الظلم والاستعباد، يأمر الله عباده بأن يدافعوا عن مجتمعهم الذي بُغِيَ عليه، وأن يدافعوا عن دينهم الذي يرادُ التلاعبُ به، وعن أحكام الله التي تخالف وتناقض، وعن المستضعفين الذين تنتهك حرمتهم، ويُتلاعَبُ بمصائرهم وأرزاقهم، يقول الله

تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ، أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[الحج: ٣٨-٤١].

هذه الآيات تفتتح موضوعها بأن الله يدافع عن الذين آمنوا، نحن إذاً في حالة الدفاع، والتي تتطلب منا أن نجاهد دفاعا عن ديننا وعن مجتمعنا وعن أبنائنا وديارنا أمام كلِّ معتد أثيم، وتختتم بوضع ملامح المجتمع الذي نهدف إلى الوصول إليه من بعد عملية الجهاد والقتال، إنهم المؤمنون الذي إذا تمكّنوا حقّقوا علاقة طيبة مع الله من خلال الارتباط الكامل بالله معبَّراً عنه بالصلاة،

وحققوا كذلك علاقات طيبة مع بعضهم، من خلال التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية معبَّرا عنه بإيتاء الزكاة التي هي حق الفقراء في أموال الأغنياء، ووضعوا نظاما يعلو فيه صوت الحق، وقيمة المعروف، ويسود فيه التعاون على إخماد المنكر، إنه المجتمع الذي لا يسمح مرة أخرى بظهور الفساد والاستكبار والانحراف، من خلال تفعيل جهاز الأمر بالمعروف للحفاظ على القيم الإيجابية، وجهاز النهي عن المنكر بالقضاء على القيم السلبية، فيخلص المجتمع عن الأمراض الفكرية والأخلاقية والسلوكية، ويستمر طاهراً مطهراً.

يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]، ويقول: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

الثالثة: الثورة على الظالمين، والجهاد للمنحرفين، وتصحيح مسار المجتمع المنحرف

قد تُبْتَلى المجتمعات المسلمة بحكام منحرفين وسلطات فاسدة تتمرد على أحكام الإسلام وتناقضه بإفساد المجتمعات وإفقارها وإهانتها، مع الاعتراف النظري الكامل أو الجزئي للإسلام، إن الإسلام يسمح لأبنائه في هذه الحالة بالثورة على هؤلاء الظالمين بهدف تصحيح المسار وترتيب الوضع مرة أخرى باستخدام الوسائل السلمية، أولا بالدعوة والتربية والإرشاد والنصح والصدع بكلمة الحق عند السلطان الجائر، ثم بالإعداد العسكري والثورة المسلحة إذا لم يكن هناك خيار دونها، هذه الثورة المسلحة يجب أن تكون مضبوطة بضوابط مختلفة عن ضوابط القتال للكافرين، ولها أحكامها الخاصة، وينقسم هذا النوع من الجهاد إلى نوعين، جهاد وقتال الحكام الظالمين خلف الأئمة المصلحين الداعين للعدل والقسط، والقتال من أجل فرض الأمن والاستقرار وتأديب المخالفين، بقتال الفئة الباغية التي تبغي على الحاكم العادل وتعبث بالأمن والاستقرار.

وآية الإذن بقتال الظالمين، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، تعلِّل القتال بكونه من مظلومين ضد ظالمين، وهي حالة تتناول حالة الثورة على الظالم، ويقول تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، يقدِّم المسلم في هذه الحالة النصح والدعوة ومحاولات الإصلاح ثم يتحول إلى مقاتل في صف القيادة الشرعية أو في صف الطائفة المحقة، ويبدو أن القتال في هذا حالة استثنائية وضرورية لإعادة الباغين إلى رشدهم.

إن ترتيب المجتمع على الهيئة والملامح التي يريدها الله هو مسؤولية المجاهد المؤمن، وأن يسعى إلى ذلك بكل ما أوتي من سبل ووسائل، فيثور على الحاكم الظالم، ويعين الحاكم العادل، ويهتم بشؤون المسلمين، ويسعى

في ترتيب أوضاع الأمة على طريقة الأمن والحق والعدل والعدالة والرشد والصلاح.

لما أغار قائدٌ من قواد معاوية على الأنبار التي كانت تحت إدارة حكم الإمام العادل الراشد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فخطب خطبة الجهاد المشهورة، ثم تحدث فيها بعبرة وحزن عميق قائلاً: "ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقُلبَها وقلائدها ورعثها[1]، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام"[2]، ثم ذكر أنه وضع سيء يكاد أن يتقطّع فيه قلب المؤمن الحريص أسى وحسرة، وهي نظرة إسلامية عادلة وشريفة تبين حرص المجاهد الحقيقي على تحقيق الأمن للمجتمع المؤمن الذي يضم في جنباته مواطنين من أديان مختلفة. وفي هذا الهدف ومن

---

(١) الحجل: هو الخلخال، وهو حلية كالسوار تضعه المرأة في رجلها، (حِجْلَها): وهو الخلخال. والقُلب: السوار في اليد. والقلائد جمع قلادة: وهوما في الحلق من الحلي.والرعاث جمع رَعْثة، وهي: الأقراط في الأذن.

(٢) نهج البلاغة.

أجل هذه الغاية تحرّك كثير من أئمة أهل البيت ضد الحكام الظالمين، وحفظ الله بهم روح الدين، الذي تعرّض للإزهاق في منعطفات خطيرة من تاريخ الإسلام.

الرابعة: الإصلاح الثقافي والاجتماعي والجهاد من أجل حياة حرة كريمة

هذه الغاية قد تتداخل مع النقطة السابقة أن تندرج ضمنها، ونريد التركيز عليها لأهميتها.

حين أعلن الإمام زيد برنامج ثورته وجهاده ضد طغاة عصره، مبينا منهجا مهما في الثورة على الظالمين لتصحيح المسار المنحرف وأشار فيه إلى أهداف الجهاد الواقعية والمجتمعية، التي كانت تعبيرا حقيقيا عن نصرة المجتمع المستضْعَف وعن حاجاته الواقعية، قال المؤرخ البلاذري: "وكان (أي الإمام زيد) إذا بويع قال: أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء على أهله، وردِّ المظالم، وإقفال المجمّرة، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه

ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه لتفينَّ لنا، ولتنصحنَّا في السر والعلانية، والرخاء والشدة، والعسرة واليسرة"[١].

إن هذا البرنامج الثوري الجهادي يصرح بغايات وأهداف فكرية واجتماعية واقتصادية كان المجتمع المسلم بحاجة إليها، وكان يعاني من فقدانها، فانبرى الإمام زيد لهذه المهمة الجهادية المقدسة، ويشرح الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين فوائد الجهاد التي تشير إلى غاياته النبيلة ومقاصده الكريمة والتي تستجيب لحاجات المجتمع المسلم ومتطلباته، حيث يقول: (وكيف لا يكون للجهاد في سبيل الله فضلٌ على جميع أعمال المؤمنين، وبه يحيا الكتاب، ويطاع اللطيف الخبير، وتقوم الأحكام، ويعز الإسلام، ويأمن الأنام، وينصر المظلوم، ويتنفس المهموم، وتنفى الفاحشات، ويعلو الحق

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٣٤. ويقارن بالطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٩٩.

والمحقون، ويخمل الباطل والمبطلون، ويعز أهل التقوى، ويذل أهل الردى، وتشبع البطون الجائعة، وتكسى الظهور العارية، وتقضى غرامات الغارمين، وينهج سبيل المتقين، وينكح الأعزاب، ويقتدى بالكتاب، وترد الأموال إلى أهلها، وتفرق فيما جعل الله من وجوهها، ويأمن الناس في الآفاق، وتفرق عليهم الأرزاق)[1].

الخامسة: غايات مستجدة

تطورت الحياة في هذا العصر وتعقّدت علاقاتها بما فيها العلاقات الحربية والعسكرية والعدوانية، فهذا النظام العالمي الجديد الذي تهيمن عليه أمريكا يتدخل في شؤون المجتمعات الأخرى، واستطاع أن يجنِّد كثيرا من الأنظمة للدخول في حِلفه وتحت هيمنته، وبات مكشوفا أن هذا النظام العالمي الذي تديره أمريكا يستخدم كثيرا من الأنظمة العربية والإسلامية استخداما سيئا ضد شعوبها،

---

(١) الهادي يحيى بن الحسين، مجموع رسائله، كتاب دعوة وجه بها إلى أحمد بن يحيى بن زيد ومن قبله.

وبما يضمن تدفق مصالحه ولو على حساب كرامة الشعوب وحريتها واستقلالها، ومن هذه الأنظمة العربية والإسلامية مملكة آل سعود، والتي ظلت هي الأخرى تعتدي على الشعب اليمني وعلى ثقافته الجهادية وفكره الثوري التحرري من خلال عملائها ومرتزقتها فيه في محاولة منها لتدجين الشعب وإماتة روح الإسلام فيه وإهانة إنسانه الكريم، فأعاقت مشاريع النمو والتطور والرفاه الاجتماعي، وحرصت على إغراقه بمشاكل وحروب داخلية وهيمنت على قراره السياسي والفكري والثقافي، ومنعت من استخراج ثرواته، وحرصت على بقاء النظام الحاكم فيه مرتهَنا لرغباتها الشريرة والعدوانية، ولما تاق الشعب إلى حياة الحرية والاستقلال واستخراج ثرواته الطبيعية التي وهبه الله لكي يضمن حياة مستقرة وكرامة إنسانية - كشفت مملكة آل سعود عن وجهها الحقيقي العدواني الذي طالما ظلم اليمن وشعبها ومجتمعها عقودا من الزمن، فأعلنتها صراحة حربا تدميرية ضد هذا المجتمع، فقتلت النساء والأطفال، ودمرت الحياة ومقوماتها من مياه الشرب والمشافي

ومستودعات الغذاء والدواء، وحاصرته برا وبحرا وجوا وسلطت مرتزقتها على الفتك بالناس الأبرياء؛ الأمر الذي يحتم على أبنائها الأحرار أن يهُبّوا للجهاد دفاعا عن البلد حاضره ومستقبله.

إن المجاهد حين يتحرك صدا لهذا العدوان فإنه يحقق عددا من الغايات؛ فهو يحد من تسلط الكفار على المسلمين والذين لا يفتئون عن غزو مجتمعات الإسلام بالأفكار التدميرية والثقافات الشيطانية، وكذلك يدافع عن بلده وأمته ودينه وحقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فيزيح عن كاهل شعبنا هذا التسلط السعودي الأمريكي، فيستطيع عندئذ شعبنا أن يصل إلى حقوقه وثرواته وخيراته فيوظفها لصالح شعبه الكريم الذي حرم منها، فعاش عقودا من شظف العيش وشدة الفقر، ومسيس الحاجة، ويستطيع أن يتخذ موقفه الشرعي الصحيح إزاء قضايا الأمة التي وقفت مملكة آل سعود حجر عثرة أمام أي نهضة إسلامية تسعى لتطوير المسلمين وتقوية شأنهم، بل خذلت المجتمعات المسلمة

وتآمرت مع سيدتها أمريكا ومن قبلها بريطانيا ضد المقدسات الإسلامية في فلسطين الجريحة، وظلت ولا زالت سببا مباشرا في كل جرح ينزف في جسد العالم الإسلامي حتى يومنا هذا.

ولم تكتف مملكة الشر هذه حتى صالت على شعبنا ومجتمعنا وأزهقت أرواح أبناء أمتنا ودمرت كل مقوماتنا بشكل وحشي وغير مسبوق في هذا العالم، واشترت صمت الجميع بأموالها، وهنا لا يمكن لشعبنا إلا أن يقاوم ويتصدى بكل بسالة لهذه الهمجية حتى يكسر شرتها ومكرها وكيدها وجبروتها، عملا بما روي عن الرسول ﷺ حيث قال: «من قَاتل دون ماله مظلوما فهو شهيد، ومن قاتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قاتل دون أهله فهو شهيد، ومن قاتل دون جاره فهو شهيد، وكل قتيل في جنب الله فهو شهيد»[1]. وفي علاقات هذا العصر وضمن اشتراك الأمة في ثرواتها الوطنية، فإن مال أحدنا

---

(١) أمالي أبي طالب، الباب السابع والعشرون.

ليس فقط هو ذلك المال الذي يدخره في بيته وحوزته، بل النفط من مالك، والغاز من مالك، وممتلكات الدولة ضمن أموالك، وحين تقوم هذه المملكة بمنعك من الوصول إلى مالك حرصا على إفقارك فإن هذا يحتم عليك أن تجاهد هذا النظام الظالم الفاجر المعتدي، وكذلك حين تفتعل هذه المملكة المشاكل الكثيرة لإغراق المجتمع في وحل الفوضى والاضطراب فهذا أيضا يوجب على كل مسلم غيور أن يشارك في قطع رأس الأفعى وضربه حتى يكف بأسها القبيح الذي طالما آذت شعبنا به.

كما يستلزم هذا الوضع العالمي المعقّد أن يكون المجاهد على وعي بعلاقاته المختلفة والمعقدة أيضا، حتى يضمن أن لا يفرِّط فيها بذريعة أنها لا تلزمه، فالظلم الذي تمارسه هذه الأنظمة المستكبرة ضد شعبنا أو ضد قضية فلسطين مثلا يزيد أضعافا على الظلم الذي يمارسه أحدنا على صاحبه، وإذا وجب علينا دفع ظلم هذا الظالم

الواحد الذي يظلم ظلما محدودا، فمن باب أولى أن ندفع ظلم نظامٍ يظلم بلا حدود وضد ملايين الناس، الذين نحن جزء منهم، ونتأثر بظلمه الجماعي أكثر من الظلم الفردي.

وقد كشف هذا العدوان الأخير على اليمن أن الجهاد ضد ذيوله من مرتزِقة وعملاء وعابثين بحياة المجتمع وأطفاله بصورة وحشية لا يقل تكليفا عن الجهاد لرأس العدوان، ولم تعد العلاقة بين رؤوس العدوان هذا وذيوله المختلفة محل اجتهاد أو مجرد تحليل بل أصبح واقعا مكشوفا وقدم الغزاة المحتلون بمدرعاتهم ودباباتهم على أكتاف هؤلاء المرتزِقة، ونصرتهم طائراتهم وصواريخهم وبارجاتهم في كل مكان في اليمن، بما يشير لكل متشكك أن ملة العدوان ملة واحدة.

فوائد الجهاد

قد يرى أحدنا أن الجهاد (كُرْهٌ) كما وصفه الله حيث يقول: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢١٦]، لكن الله سبحانه وتعالى بين أن في هذه المكروهات خيرا كثيرا، قد لا نعلمه نحن بني البشر، وهذا الخير قد يكون خيرا عاما يعود بالنفع لكل المجتمع ولجميع الأمة، وقد يكون خيراً فردياً يناله المجاهد نفسه. وبحركة المؤمن المجاهد الدائمة تتحقق فوائد كثيرة للمجتمع وللفرد المؤمن في الدنيا والآخرة.

الفوائد العامة

١- يتحقق النصر الذي سيفتح آفاقا واسعة للتحرك الجهادي اللاحق، وسيعطي للمجاهدين مرحلة مهمة

وإنجازا مشجعا على التحرك وعلى مزيد من التقدم والانطلاق.

٢- تتحقق الأهداف والغايات التي شُرِع الجهادُ من أجلها، والتي هي كف بأس الذين كفروا، وإزالة السلطات القامعة لراية التوحيد، وإزالة السلطات المنحرفة التي تتستر بستار الإسلام، وكينونة الدين كله لله، وإعادة ترتيب المجتمعات وترتيب العلاقات المختلفة بين مكوناتها وفئاتها على النحو الذي يريده الله تعالى، وفي هذا من الخير العظيم ما يهوّن كل مشاق الجهاد والتضحيات، وقد صدق الإمام علي عليه السلام حين أقسم أنه ما صلحت الدنيا والدين إلا بالجهاد[1].

٣- يحافظ الجهاد المستمر على المكتسبات التي اكتسبها المجتمع في مسيرة الجهاد وحركته المستمرة ولا سيما حين يحاول المنحرفون مرة أخرى

---

(١) أمالي أبي طالب.

الانحراف بمسيرته المباركة الميمونة نحو أهوائهم وشهواتهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

٤- يتحرر الناس من العبودية لغير الله، وتصلح المجتمعات ويزول الظلم والفساد والحكام الظالمون ويقوم الحق والعدل، وتسود العدالة الاجتماعية، وتُحْفَظ كرامة الأمة وتستعاد أرضها وعزتها، ويتمكن أبناؤها من الرقي والتطور والبناء الإيجابي، ويتحقق تعليمهم وتطويرهم وتنميتهم، ويرتفع عنهم نير الذل والهوان الذي قد يصل بالإنسان إلى تمني الموت عنده، وتحقق مقومات العيش الكريم لكل المواطنين في ظل الدولة العادلة المجاهدة.

الفوائد الفردية

يحصل المجاهد باعتباره فردا على مزايا كثيرة وفوائد عظيمة تسبَّب هو فيها هو بانخراطه في التحرك الجهادي، وإذا كان الله لا يحتاج لهذا الجهاد لنفسه، لأنه الغني المطلق، فخير الجهاد يعود على المجاهد حتى في حالة الشهادة، وهذا محض الخير من الله عز وجل حيث كلفنا بتكليفٍ يصب هذا التكليف في مصلحتنا، حيث ندفع النوازع المضادة للحياة وللخير والاستقرار والطمأنينة، يقول الله تعالى: ﴿**وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت:٦]، **ومن هذه الفوائد:**

١- يترقّى المؤمن بجهاده ترقيا رائعا في العلاقة مع الله، فيتحول المؤمن العادي إلى ولي من أولياء الله المقربين، ويعرف المجاهد هذا من نفسه حيث يشعر المؤمن بمعية الله معه في كل تحركه، ويشعر بقوة الارتباط به سبحانه، ويجد المجاهد ذلك من نفسه،

ألم يقل أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الجهاد باب من أبواب الله فتحه الله لخاصة أوليائه)، فالمجاهدون يترقون إلى مقام عظيم من مقامات الولاية لله سبحانه وتعالى. وكأن المجاهد يتهيأ بهذا الجهاد لأن يكون طرفا في عقد شريف وعظيم مع الله عز وجل، إنه من باع نفسه من الله، وكان الله نعم المشتري، ﴿**إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١]. ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [النساء: ٧٤].

٢- يحصل المجاهد على المزايا والظروف والحالات التي تتوفر في المجتمع المنشود الذي تهيأ بفعل الحركة الجهادية والتي كان هو أحد المؤثرين فيها، باعتباره عضوا من أعضاء هذا المجتمع الجهادي، وحين تورق

شجرة العدل وتتهدل أغصانها الرطبة فإنه سيكون من المستفيدين بلا شك بهذه الثمرات الرائقة.

٣- يسلك المجاهد أقرب الطرق وأقومها وأرفعها وأعلاها إلى الله عز وجل، فيفوز برضاء الله ورضوانه، ويفوز بأعلى الدرجات في جنانه، التي أعدها لمن يحب من عباده، وإذا كانت الحياة قصيرة ومملوءة بالمصاعب والآلام، والموت مكتوب على كل نفس، ولا بد له من أن يرحل عن هذه الحياة - فما أجمل أن يرحل عنها المؤمن المجاهد شهيدا قد ختم الله له بالحسنى، وحينئذ ينال الشهادة، ويقدم على ربه من أفضل أبواب الجنان، ويتبوأ أعلى منازلها، بجوار الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، من باب الشهادة العظيمة، يقول رسول الله ﷺ: «ما اغبرت قدما أحد في سبيل الله فطعمته النار»[1]، ويقول ﷺ: «لنومة في سبيل الله أفضل من عبادة

(١) الإمام الهادي، الأحكام في الحلال والحرام.

ستين سنة في أهلك تقوم ليلتك لا تفتر وتصوم نهارك لا تفطر»[١]. إلى غير ذلك من المميزات والفوائد والمردودات الإيجابية التي يفوز بها هذا النوع الكريم من بني الإنسان.

عاقبة ترك الجهاد

سيكون المؤمنون هم الخاسرين من ترك الجهاد، وعند التكاسل والتخاذل فيه، وهذه بعض العواقب السيئة التي تصيب المجتمع الذي يتخلى **عن الجهاد:**

١- التعرض لسخط الله وعذابه في الدنيا والآخرة، وتجري سنة الله في عباده بالاستبدال بقوم آخرين يكونون على قدر المسؤولية الملقاة على عواتقهم، يقول الله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: ٣٩].

---

(١) الإمام الهادي، الأحكام في الحلال والحرام.

٢- من جملة العذاب الأليم الذي سيسلطه الله على المتخاذلين عن الجهاد هو التيه الطويل والحرمان الكبير من الحقوق الذي يكون عاقبة الفاسقين وهم التاركون للجهاد، لما تخلّى قوم موسى عن القتال، وجبُنوا عن الإمساك بزمام المبادرة والدخول إلى المدينة المقدسة عاقبهم الله بالتيه أربعين سنة، ﴿**قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٤-٢٥]، ولما خذل المسلمون الإمام علياً عليه السلام أخبرهم بأنهم سيعاقَبون بتيه أطول من تيه بني إسرائيل، قال الإمام عليه السلام: "لكنّكم تهتم متاه بني إسرائيل، ولعمري ليضعّفنّ لكم التّيه من بعدي أضعافا، بما خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم، و قطعتم الأدنى و وصلتم الأبعد"[1]؛ وهو الأمر الذي تحقق وبلغ بهم السوء أيما مبلغ.

---

(١) نهج البلاغة.

٣- تخسر الأمة إمكانات القيادة الرشيدة والعادلة وفرص تحقق المجتمعات الكريمة والراقية، هذا الإمام علي عليه السلام حين خذله أهل عصره رغم أنه كان شخصية استثنائية علما وعملا وشجاعة وعدلا، لقد كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك حين لم تستعد الأمة لتستفيد من هذه القيادة الملهمة التي شهد لها القرآن، ونصّبها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خسرت الأمة قيادة استثنائية كان يمكنها إحداث تغيرات فاصلة لها أثر كبير في عصره وبعده، إن أي قيادة مهما بلغت من الإمكانات ومن المزايا والصفات إذا لم تجد من ينصرها ويعينها ويجاهد معها فإنها كالذهب الذي يظل تحت التراب ولا يحاول أحد الانتفاع به، وبالتالي لن يستفيد منه أحد، وعندئذ تخسر الأمة فرصة كبيرة في الوصول إلى السعادة والرقي والاستقرار والعدالة والقيم الحميدة.

٤- يدول الباطلُ، ويتحكّم الضلال، ويسود الفساد، ويتجبّر الظالمون، حين خسرت الأمة رجلا كريما

مثل الإمام علي أو مثل الإمام الحسن أو مثل الإمام الحسين عليهم السلام كان من الطبيعي أن يأتي مثل معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف الثقفي بدلاء عنهم كنتيجة طبيعية لرفض الحق وترك الجهاد؛ لهذا يقول الإمام علي عليه السلام: (وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم، وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم)[1]. وقال عن الحجاج بن يوسف فقال: (أما والله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيّال الميّال، يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم)[2]. وحين يتحكم الضلال والظلم والجبروت في شؤون الأمة فإنها ستذوق أليم العذاب،

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) نهج البلاغة.

ويتم التنكيل بها، وترتكس في المهانة والذلة؛ الأمر الذي يستدعي القلق البالغ على مصير الأمة والمبادرة إلى حجز المواقع الأمامية في الجهاد، يقول الإمام علي عليه السلام أيضاً: (عزب رأي امريء تخلّف عنّي، ما شككت في الحقّ مذ أريته، لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهّال و دول الضّلال)[1].

٥- تخسر الأمة هيبتها، وتكون البلاد عرضة لغزو الكفار والظالمين والمنحرفين، وتكون خيراتها مثار طمعهم وتحركهم المضاد، ويكون قرارها ومسارها في يدهم يتحكمون به كما يريدون، حيث كان قد يسّر لهم التخاذلُ عن الجهاد إزالة أهم عقبة في طريقهم كانوا يخشونها، ولهذا يسعى أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية إلى إبعاد الأمة عن ثقافة الجهاد تارة ببث الشبهات المثبّطة عن الجهاد وتصوِّر الدينَ

(١) نهج البلاغة.

وكأنه مجرد الصلاة والصيام ثم القعود في البيت، وتصوِّر هذه الثقافة الشيطانية أن المسلم المثالي والطيب أنه ذلك المسلم الذي لا يعنيه من أمر الأمة شيء، وأنه ذلك الذي يغدو ويروح على المسجد ولا يسأل عما يفعل الظالمون ولا يسألون هم عما يفعله، وتارة أخرى عن طريق الجماعات التكفيرية التي دفعوا بظهورها لكي تتكّل بالمسلمين، وترتكب الفظائع لتشويه الجهاد وقيمه الرائعة والعادلة ليتم تفريغه عن المعاني السامية والأهداف النبيلة والأساليب العادلة والمنصفة.

٦- يعيش الناس في نير الذل والهوان الذي قد يصل بالإنسان إلى تمني الموت عنده، وتستكين الأمة وتتشرذم، ويتسلط أعداؤها على أرضها، وتصبح حياة الذل والمهانة واللامسؤولية هي الحياة المفضلة لدى المسلمين، يحذِّر الإمام علي عليه السلام من عاقبة ترك الجهاد بأن الناس سيلْبسون ثياب الذل، ويشملهم بلاء الظلم والجبروت، ويعيشون حياة الصّغار والمهانة،

ويسلبهم الله التوفيق والسداد، فيضعف أداؤهم العقلي، وتنعدم أو تقل فيهم فرص التفكير المبدع، ويدال الحقُّ منهم إلى غيرهم حتى لو كانوا من أهل الحق النظري، فحين يتركون الجهاد ستضيع فرصة كونهم على الحق، ليصيروا في صف الباطل، ويسامون الظلم، ويمنعون من العدالة، يقول عليه السلام: (فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، ودُيِّث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف)[1].

٧- تحرم الأمة من خيراتها ويستولي عليها الظالمون في هذا النظام العالمي الجديد، وتسود الفوضى ويعبث التكفيريون بأمن المجتمع، ويهددون حياته واستقراره، ويشيعون ثقافة العنف والقتل الوحشي، ولا يرعون طفلا ولا امرأة، فهذه بلدنا اليمن لما مضت

(١) نهج البلاغة.

في طريق التحرر من الهيمنة الغربية الأمريكية والسعودية لكي تمتلك زمام أمورها وتستخرِج خيراتها، وتتغلب على حياة الشظف والفقر - ثارت ثائرة هذا النظام العالمي المستكبر، فنفّذ ولا يزال أقذر عدوان عرفته البشرية على شعبنا ومقوماتنا وبنيتنا التحتية وأكثرها ظلما وطاغوتا، وحركوا مرتزقتهم ليمارسوا أبشع الجرائم والمنكرات بحق اليمنيين ذبحا وسلخا ونحرا وسحلا وتفخيخا ورميا من شاهق، وحين يمضي اليمن اليوم في مقاومة هذا العدوان وجهاده فإنه مهما كثرت التضحيات وبجهود المجاهدين الذي يسطرون أروع الدروس والملاحم الجهادية سيتخلص من شرور المعتدين ووحشية المتوحشين الغرباء، وسيبني نفسه بمقوماته وخيراته الكثيرة التي أودعها الله فيه.

لماذا نرد عدوان وكيد المعتدي السعودي الأمريكي؟

ونحن نعيش حركة الجهاد والمقاومة ضد العدوان السعودي الأمريكي ينبغي أن نرد على هذا التساؤل،

الذي يكاد أن يصبح الجواب عليه من المسلّمات، ولكن من باب التذكير للمؤمنين، ويمكن تلخيص الجواب في التالي:

١- لأن ما يحصل عدوان سافر وبغي واضح بكل المقاييس والشرائع والأعراف، ويجب عقلا وشرعا ردُّه على صاحبه، حيث يعتدون على شعب مسلم عزيز بفظاظة موحشة وغلظة مستكبرة، يقتلون النساء والأطفال بدون وجه حق، ويدمرون مكتسبات البلد الوطنية، وثرواته القومية، بسبب أننا آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت، وأردنا العيش بحرية وكرامة، وهم يريدون أن يعاقبونا على ذلك، ونحن خليقون برد الصائل المعتدي من حيث أتى، وجديرون بكسر قرنه الشيطاني الذي يعتَبَر رأس حربة أئمة الكفر، وطواغيت الاستكبار؛ يقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**﴾ [الشورى:٣٩].

٢- لأنه جهاد واجب وهو باب من أبواب الجنة "فتحه اللّه لخاصّة أوليائه، وهو لباس التّقوى" ونحن بحاجة إلى

الاهتداء إلى طرق الجنة، والتزود من زاد التقوى؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وقد هيأ الله لنا طرق الجنان وأسباب التوفيق، من خلال العمل والانتصار على البغي والعدوان، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٣- لأن رؤساء المشروع الأمريكي الصهيوني في المنطقة سلطوا علينا عملاءهم وأدواتهم فمنهم من يقتلنا في المساجد ونحن ركّع سجّد، ومنهم من يقتلنا غدرا وختلا وخيانة في الشوارع والأسواق، فلم نعد نأمن على حياتنا وأولادنا ونسائنا، ومنهم من يهدم بيوتنا على رؤوس أطفالنا ونسائنا بطائراته وصواريخه، بكل صفاقة ووقاحة، وبمبررات سخيفة وتافهة، وكل هذا يأتي تناغما مع دعوات الكيان الصهيوني لمعاقبة الشعب اليمني، وأنهم والسعوديون في خندق واحد، وأي عاقل في الدنيا يتوجّب عليه أن ينتفض في

وجه الظلم والضيم والوقاحة والفجور، وإذا توانينا وقصرنا وفرّطنا فإن القادم أسوأ، وإن مصيرا سيئا سينتظر الجميع، ليس أقله سبي نسائنا وقتل أطفالنا، وبيعهن في الأسواق، وانتهاك حرماتنا، من قوم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، (هم شر الخلق والخليقة)، وقد وعد الله من رَدَّ العدوان بالنصر والغلبة، وأكد ذلك، قال عز من قائل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

٤- أنها حرب مفروضة علينا من أدوات عميلة ورخيصة تنفذ مشروعا يستهدف أمة الإسلام جميعا، ولا خيار لنا إلا المقاومة والدفاع عن النفس، وهي حالة تفرض على كل حر مسلم أبيٍّ أن يختار إما أن يكون مع حزب المستكبرين الأشرار (أمريكا وإسرائيل وأدواتها العميلة والقذرة في المنطقة)، أو مع حزب الله المستضعفين الأخيار (نحن الشعب اليمني المصابر المجاهد وجميع الشعوب المستضعفة)، لقد استضعفَنا

هـؤلاء المعتـدون البـاغون ليحققـوا أهـدافا رخيـصة ودعائية، لكننا مع ذلك نثق في الله العزيز القهار أنه ناصرنا ومؤيدنا، وأنهم مهزومون مندحرون، وصدق الله القائل: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

الفهرس

المقدمة ---------- ٥
ما هو الجهاد ---------- ٦
فضله ---------- ٩
وجوب الجهاد ---------- ١٣
غايات الجهاد وأهدافه ---------- ١٩
فوائد الجهاد ---------- ٣٩
الفوائد العامة ---------- ٣٩
الفوائد الفردية ---------- ٤٢
عاقبة ترك الجهاد ---------- ٤٥
الفهرس ---------- ٥٧